

## ٧- قراءة فى الخطاب السياسى للسنيورة: الحكومة اللبنانية وأزمة تموز (يوليو) ٢٠٠٦

د. أمانى مسعود الحدينى (\*)

### مقدمة

تعتبر اللغة وسيلة هامة للتعبير عن النشاطات والممارسات السياسية؛ ومن ثم عن القوة والسيطرة. فمن خلال اللغة يستطيع السياسيون السيطرة على عقول مستمعيهم، ويتمكنون من فرض نفوذهم والتأثير عليهم.

وطبقًا لـ Geis<sup>(١)</sup> فإن السياسة: «... هي نشاط لغوى يتم من خلاله توظيف اللغة لإخبار الآخرين بالقضايا السياسية»؛ فاللغة لم تكن أبدًا بعيدة عن السياسة... ولقد أكد اقتراب التحليل النقدي للخطاب Critical Discourse Analysis Approach على أن تحليل المفاهيم والاتجاهات السياسية المختلفة، والتي تستنبط من لغة هذا السياسى أو ذاك؛ تؤكد تلك العلاقة الارتباطية بين السياسة أو القوة والمناورة، وإيضاح وسائل الإقناع وسبل السيطرة على العقول؛ ومن ثم ممارسة القوة أو على الأقل تحييد بعض الجماعات والحصول على ولاء الآخرين.

والجدير بالذكر أن استخدام اللغة للتواصل والإقناع، وإيصال المفاهيم؛ يسمى العملية الإدراكية، التى تعنى استخراج بعض المفاهيم والمعلومات من الفرد إلى الجماعة؛ لإيصالها إلى عقول الآخرين؛ ومن ثم إعادة تشكيل المفاهيم والعقول.

(\*) أستاذ العلوم السياسية المساعد، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية - جامعة القاهرة.  
تتوجه الباحثة بخالص الشكر إلى الأستاذ ياسر حسن. طالب الماجستير بقسم اللغة الإنجليزية، كلية الآداب.  
جامعة عين شمس.

ويعتمد السياسي على استخدام بعض الشعارات والصور والرموز اللغوية، وبالذات في أوقات الحروب والأزمات؛ للتأثير على هذه العملية الإدراكية وتطويرها لصالح أفكاره ورسالته الخطابية.

ويرى البعض<sup>(٢)</sup> أن عملية إدراك ما يبثه السياسي في خطابه هي عملية معقدة، تتألف من عدة جوانب سيكولوجية وفلسفية، إضافة إلى ممارسات من الخبرات السابقة للتحكم في العملية الإدراكية التي تتأتى من خلال اللغة، والتي نستطيع من خلالها أن نؤول ونحكم ونستنبط التصورات والمفاهيم الخاصة بصاحب الخطاب؛ استناداً إلى أن اللغة ذات تأثير لا شعورى على التفكير السياسي، وعلى متلقى الخطاب؛ ومن ثم على سلوكه، وذلك بإعادة تشكيل إدراكه للحدث السياسي؛ فعندما «تشكل المفاهيم وفقاً لـ Geis؛ يمكن التحايل على الإدراك»<sup>(٣)</sup>؛ ومن هنا برزت أهمية تحليل الخطاب السياسي كأحد مناهج تحليل الحدث السياسي؛ نظراً لما تتمتع به مفردات اللغة من إمكانية تأويل اللفظ الواحد بعدة طرق.

ولقد جاء هذا الاقتراب ليجعل من السهولة بمكان للسياسى أن يستخدم من المفردات ما يضمن له إمكانية تأويلها، حتى لا يلزم تأويلاً أو تفسيراً واحداً، ورأى البعض<sup>(٤)</sup> أن تحليل ما جاء في الخطاب السياسي من خلال ظاهر النص والتصريحات الرسمية لا يفيد كثيراً؛ وإنما يجب أن ينصب التحليل على المواقف الأقل وضوحاً؛ مثل التعبيرات التلميحية، أو ما يفهم ضمناً، وهو ما اصطلح على تسميته ما وراء النص، أو ما بين السطور، ولدى البعض المسكوت عنه.

وخصوصية التحليل اللغوى للنصوص السياسية؛ تنبع من أن المفردات اللغوية المستخدمة في الخطاب السياسي هي تعبير وترجمة للإستراتيجيات المختلفة التي يستخدمها السياسي من أجل الوصول إلى أهدافه الخاصة؛ ولهذا تتميز لغة الخطاب السياسي ببعض الإستراتيجيات التي تقوم على ما يلي:

- تقديم الحجة والحجة المضادة، واستخدام أساليب المناورة والخداع.

- بث خطابه بصورة تعبر عن السيطرة والقوة.

وقد يلجأ السياسي للأسلوبين معاً لإعادة تشكيل المفاهيم أو الاتجاهات داخل عقول الأفراد.

ويبدو أن هناك عدة أساليب للتحليل اللغوي، منها التحليل البلاغي، أو استخدام بعض الأساليب كالمبنى للمجهول، أو الأفعال التي تعبر عن الإرادة والثقة، أو صيغ المناداة، أو عن طريق استخدام الضمائر الشخصية، إضافة إلى تكرار المفردات.

وتطوع هذه الدراسة بعداً من أبعاد اقتراب التحليل اللغوي المستند على تحليل الضمائر والتكرار، من خلال قراءة سياسية لخطابات «فؤاد السنيورة»، بصفته الخطاب الرسمي والحكومي أثناء الحرب اللبنانية في يوليو ٢٠٠٦؛ لتحليل التوجهات السياسية للحكومة تجاه الأزمة، ولاستشراف آفاق مستقبل الدولة اللبنانية، التي يبدو أنها تأبى أن تعيش بلا أزمات.

فمنذ اغتيال رئيس الوزراء اللبناني السابق رفيق الحريري، والنقاش يحتدم حول عدة قضايا لبنانية الطابع إقليمية ودولية التداعيات، منها الوجود أو الغياب السوري في لبنان، والنفوذ الأمريكي والغربي في المنطقة، وقضية المقاومة في الجنوب، وما ارتبط بذلك من دعاوى ضرورة نزع سلاح حزب الله، وقضية الأمن الإسرائيلي، وهشاشة الدولة اللبنانية، ومدى شرعيتها ومصداقيتها بعد الحرب، ثم العودة إلى الحديث عن صورة شبغ الحرب الأهلية، وارتباط ذلك كله بالشأن الداخلي السياسي في لبنان، وشكل نظام الحكم فيه.

ولا ريب أن الحرب اللبنانية/الإسرائيلية كانت عاملاً هاماً سواء في ترتيب أوراق البيت اللبناني من الداخل، وإثارة المزيد من الاختلاف بين الفرقاء على الساحة السياسية اللبنانية، أو في استنهاض قضايا ظلت راکدة سنوات طويلة، بفعل ثبات المتغيرات الإقليمية والدولية. . وقد خلفت الحرب أزمة أخرى بين اللبنانيين أنفسهم، وأطلقت الصراعات برأسها في مرحلة ما بعد الحرب.

وتأتى المحاور التسعة لهذه الدراسة متماشية مع إستراتيجية السنيورة في التعامل مع الأزمة، والتي هدفت لتحقيق هدفين وهما: السيطرة على الداخل واستمالة الشعب اللبناني للتوحد معه لمواجهة الأزمة، وكسب تأييد الخارج وضمن استمرارية اعتراف المجتمع الدولي بالحكومة الحالية.

## أولاً، الحرب والأزمة اللبنانية

كان رئيس الوزراء السنيورة في خطباته يصف ما يحدث في لبنان أحياناً بالحرب، وأحياناً بالأزمة. فالحرب اللبنانية في خطابه هي «... الكارثة والكابوس اللذين يواجههما لبنان منذ أكثر من ثلاثة أسابيع»، و«بأنها كلفت لبنان الكثير في حياة أبنائه وفي بنيتة الأساسية، وفي التهجير الذي طاول ثلث المواطنين».

كما وصف الأزمة اللبنانية على أنها «ظروف مروعة»، ووضح البعد الدرامي في تصوير المسألة اللبنانية واستدرار عطف المجتمع الدولي في تصوير ضحايا الحرب والنازحين... «كم الأطفال الذين سقطوا ضحايا للحرب...»... «أكثر من ٤٠٠ شهيد و٢٠٠٠ جريح حتى الآن، ثلثهم من الأطفال ما دون الـ١٢ عاماً، أو في صورة النازحين من لبنان...» حاولوا تخيل ما قد يحصل في حال اضطر ربع سكان بلدانكم إلى ترك منازلهم من دون أي حاجيات سوى الكسوة التي يلبسونها». ووصلت الدراما إلى ذروتها في خطاب السنيورة حين أضفى على الأزمة اللبنانية بعد المعاناة الإنسانية التي لا تحتمل: «... هذه قصة بلد ممزق من جراء الدمار والتزوح والتشريد واليأس والموت»<sup>(٥)</sup>.

وأفرط السنيورة في إضفاء البعد الدرامي بالاستشهاد بالوقائع، وشخصنة الألم بصفته رئيساً للحكومة؛ ليعكس على المستمعين إحساس معاناة المسئول والحكومة الرسمية: «... قمت بزيارة لإحدى المستشفيات المكتظة بالمدنيين المصابين وسمعت صراخهم وأنينهم واستمعت لمخاوفهم وارتباكهم». كما كان السنيورة حريصاً على تصوير الصورة المأسوية على أنها صورة حقيقية بعيدة عن المبالغة، ولم تزده سوى صلابه وقوة: «... لا حاجة لإطلاعكم على وقع هذه التجربة المؤثرة، إلا أنني استمددت القوة من شجاعة شعبي وأتيت إليكم مصمماً على السعي لوضع حد لمعاناتهم».

كما حرص السنيورة في خطابه على تصوير الحرب على أنها حرب ممتدة وشاملة وغير نظيفة: «... استهدفت... التخريب الهائل للمنازل والمستشفيات والجسور وللخازن والمصانع ومقرات الأمم المتحدة والمراكز الأمنية والبريد والدفاع المدني، وهوائيات وسائل الاتصال والتليفون».

ولم يقتصر وصف آثار الحرب في خطاب السنيورة على البعد البشري؛ بل امتد إلى البنية التحتية: «... زهاء مليون نازح أو ما يعادل ربع سكان لبنان، وفي بعض المناطق شلّ

عمل المستشفيات؛ فلم تعد تستطيع معالجة المصابين، كما سجل نقص في المؤن الغذائية والأدوية، وتم تدمير المنازل والمعامل والمخازن تدميراً كلياً، وقطعت الطرق ودمرت الجسور، كما أنها حرب عشوائية لم تفرق بين ما هو لبناني وما دون ذلك... : « . تعرضت منشآت الأمم المتحدة وثكنات الجيش ومراكز القوة الأمنية المشتركة للقصف، وتم تدمير وحدة دفاع مدني كلياً، وقصفت مراكز إنتاج الطاقة الكهربائية وخزانات الوقود؛ مما ألحق ضرراً بيئياً كبيراً بالشاطئ الشرقي للبحر المتوسط، وأحرقت الشاحنات، ودمرت هوائيات البث التلفزيوني والخلوي، واضطر الرعايا الأجانب إلى مغادرة البلاد، كما تم فرض حصار برى وجوى وبحرى على لبنان»<sup>(٦)</sup>، واتضح حرص السنيورة في خطابه على تعميم وشمولية تداعيات الحرب على العالم كله، وعدم قصره على لبنان، وكان بارعاً في تعبيره: «كما تعلمون جميعاً»؛ لتأكيد عمومية تداعيات المأساة، وسرد في خطابه عدة حجج توضيحية إقناعية استمدها من أجندة الغرب وتقع في أولوياته، وسعى من خلالها إلى استمالة الغرب، وكيف أثرت تداعيات الحرب سلباً عليه؛ فكان موضوع الإصلاح الاقتصادي والديموقراطية وتحقيق الاستقرار في المنطقة، وتفادي تصدير العنف لبقية أنحاء العالم، أو ما أطلق عليه الغرب «تصدير الإرهاب». كما ربط السنيورة بين تفعيل مسألة تعزيز الديمقراطية في العالمين العربي والإسلامي؛ وهو المطلب الأولي بالرعاية لدى الغرب بالسلام العادل بين الفلسطينيين والإسرائيليين: «لقد طالبت بتعاون جدي؛ وهو مطلب ما زال يحتل مرتبة متقدمة في أولوياتنا لإحلال سلام عادل ودائم بين إسرائيل والفلسطينيين والدول العربية الأخرى وفقاً لما جاء في مبادرة السلام التي أطلقتها قمة بيروت العربية العام ٢٠٠٢». وكانت إحدى الحجج التي أوردها في ذلك أنه كلما ابتعد المجتمع الدولي عن ذلك الحل العادل لهذه القضية المزمته في الشرق الأوسط كلما حل الدمار والخراب والإرهاب في المنطقة... «كم تبدو هذه الأمور بعيدة الآن». . . «نحن الآن نتكلم فقط عن الموت والحرب، الدمار والتشريد، الإصابات والمعاناة»<sup>(٧)</sup>. . . ولا ريب أن تكرار الحديث عن هذه الأحوال والمذابح إنما قصد السنيورة من ورائه تهييج المشاعر اللبنانية للعمل في صف واحد خلف قيادته.

## ١ - الإصلاح الاقتصادي

أوضح السنيورة كيف حالت الأزمة اللبنانية دون إجراءات الإصلاح الاقتصادي والمؤسساتي التي ستساعد الاقتصاد اللبناني على تحقيق النمو وتعزيز الإنماء الاجتماعي

والاقتصادي المستدام، وتحسين مستوى الوظائف الإنتاجية. . مؤكداً أنه: «قبل الأزمة كانت هناك رؤية اقتصادية شاملة تعيد إحياء الاقتصاد، وتجد حلاً لمشكلة ديننا المتراكم»<sup>(٨)</sup> وكانما يريد أن يؤكد للغرب الحريص على تحقيق التنمية الاقتصادية والسياسية معاً أن الهجوم الإسرائيلي على لبنان سيقوض كافة الإصلاحات التي قام بها لبنان وأيدها الغرب.

## ٢ - التجربة الديمقراطية

ربط السنيورة في خطابه نجاح التجربة الديمقراطية في تحقيق الاستقرار باستمرار دعم المجتمع الدولي لبلاده؛ لضمان ديمومة هذا الدعم. . . . «إن دعم للمجتمع الدولي أساسى لإعادة إحياء بلدنا، وإن دعمكم المستمر حاسم بالتأكيد لإنجاح التجربة الديمقراطية اللبنانية في منطقتنا». وكانت الصيغة التحذيرية واضحة في خطابه حين نبه إلى خطورة أن الفشل سيعم، وأن تداعياته لن تقف عند حدود لبنان: «.. كما كنا نبهنا لخطورة الفشل بالنسبة لنا جميعاً»<sup>(٩)</sup>، وكذلك. . . . «نحن محتاجون فعلاً إلى المساعدات الإغاثية العاجلة والإعمارية في المدى الطويل؛ لمواجهة التحديات العاصفة التي ضربت بلادنا ومواطنينا، وبناء الحياة والعمران للمرة الثامنة من جديد»<sup>(١٠)</sup>.

## ثانياً: صورة الدولة اللبنانية

في خطاب السنيورة جاءت صورة الدولة ضعيفة هشة، وخاصة حين شرط السنيورة أسباب نجاح الدولة في أداء دورها الاجتماعي والسياسي بمساعدة المجتمع الدولي؛ تلك الفكرة التي احتلت نصيب الأسد في خطابات السنيورة، وكانت من أهم تنبيهات الغرب له: «. . . أناشد المجتمع الدولي إلى إبداء اهتمام متزايد لتمكين الحكومة اللبنانية لتطبيق برنامجها الإصلاحى اقتصادياً واجتماعياً وسياسياً، والتخفيف من مشاعر اليأس والإحباط والشعور بالإذلال المتشر في المنطقة»<sup>(١١)</sup>.

وتجدر الإشارة إلى أن حرص السنيورة على إظهار لبنان في صورة العاجز أمام العالم إنما قصد منه كسب العطف والتأييد في الداخل والخارج؛ فعلى الصعيد الخارجى طالب السنيورة بوضع حل نهائى لمزارع شعبة المحتلة من إسرائيل؛ لبسط سيطرة حكومته عليها؛ ومن ثم إظهار الحكومة في صورة المدافع عن قضايا لبنان فى الداخل، وسحب الدعم الذى

سيتلقاه لبنان في حل قضاياها الخارجية على حل قضاياها الداخلية التي يشارك في نظرتها لها بعض القوى في الخارج .

واتضح هشاشة الدولة اللبنانية في اختراق إسرائيل لسيادتها باستمرار . . . . «إنّ الهجوم الإسرائيليّ الحاليّ هو السابع؛ إذ فيه خروج على كل القوانين والأعراف الأخلاقية والإنسانية والدولية» .

ولكن يبدو أن السنيورة حاول مراراً التغلب على تلك الهشاشة، وتأكيد شرعية الدولة من خلال المساعدة الخارجية . . . «نحن نحترمُ القرار ١٧٠١ وسنرسل الجيشَ تعاونه القواتُ الدوليّةُ للانتشار في الجنوب» . . ومع ذلك ظلت سيادة الدولة في خطاب السنيورة في مأزق؛ إذ لن يستطيع الجيش وحده تأكيدها، فلو قام الجيش بالرد فسيتعرض لبنان لتدمير أكبر .

وفي محاولة منه لاكتساب مزيد من الشرعية لدولته ولحكومته وللجيش الذي يعتبر رمز الدولة؛ أشار السنيورة في خطابه إلى أنّ الجيش هو جيش كل اللبنانيين، والجنوب ليس استثناءً: «نرسلُ اليومَ الجيشَ من الوطن إلى الوطن، ومن أجل أهلنا في الجنوب، من الذين بقوا في بيوتهم، والذين يعودون إليها ليحميهم ويدافع عن أرضهم ويحافظ على بيوتهم ويحافظ على عملهم وأرزاقهم، ويصون حريتهم وأمنهم» . وأضاف في فقرة ثانية مؤكداً أن مهمة الجيش اللبناني في الجنوب ليست موجهة أبداً إلى أهل الجنوب؛ وإنما هي: «... للدفاع عن حق الدولة وواجباتها في بسط سيادتها على كامل أرض الوطن لتكون لهم حامية وحاضنة» .

ورغم أن السنيورة لم يهاجم صراحة حزب الله في الجنوب؛ إلا أنه أشار ضمناً إلى لا معقولية وعدم قبول أن تكون هناك قوى أخرى خارج الدولة تملك السلاح وترفض سيطرة الجيش: «... مناطق أو أماكن محظورة على دخول الجيش، ونواح خارج سيطرته، ومرافق عسكرية غير مرافقه ومظاهر مسلحة غير سلاحه» .

وأشار السنيورة إلى الجيش اللبناني بأنه جيش كل لبنان، جيش كل اللبنانيين . . ودعا الكل إلى «الالتفاف حول الجيش»، وكأنما يشير إلى الدولة اللبنانية وحكومته بصفة الجيش رمزاً لها: «كونوا معه، كما هو معكم ولكم» .

وبالرغم من أن الخطاب السنيورى قد خلا فى كثير من نصوصه من صيغ التحدى والمقاومة للعدو الإسرائيلى، وغلبت صيغة الاستسلام فى كثير من مفرداته . . . . . «مُحاصرون فى لبنان ليس بالجيش الإسرائيلى فى البر والبحر والجو فقط؛ بل وتلوث البيئته، وبالخراب الذى نشره العدوان على مساحة البلاد». إلا أن روح الأمل فى البناء والانتصار لم تخلُ منها خطابه . . . . . «إن الآلة الحربية الإسرائيلىة التى ضربت مُدُننا وقرانا وبنيتنا الأساسية وإنساننا وأطفالنا ونساءنا؛ ما كان لتنالَ من عزيمتنا ومن إصرارنا على الحرية والاستقلال والكرامة. فليعلم الإسرائيليون أنهم لن يستطيعوا تدمير إرادة الحياة والحرية فينا. إن الممانعة جزءٌ أساسىٌ فى ضمير الإنسان وطبيعته. وبمساعدةكم إن شاء الله ستجاوزُ العملَ الوحشى الأخير، وستأتون إلى لبنان فتجدونه باسمًا مرحبًا بكم»<sup>(١٢)</sup> ولقد تغيرت مفردات خطاب السنيورة الاستسلامية كلية بعد الحرب، وغلب عليها صيغة التحدى وشحذ الهمم، فى محاولة لتعبئة كل الطوائف اللبانية لعملية البناء ولتوحيد الصف: «إن إسرائيل لم تعد صاحبة قوة لا تقاوم وجيش لا يُقهر. . . لقد خابت إسرائيل فى محاولتها النيلَ من كِبائِكُمْ فى أرضكم ودفاعكم عنها حتى الاستشهاد»<sup>(١٣)</sup>.

وحينما أشرفت الأزمة على الانتهاء، وفى محاولته للتغلب على تداعيات الأزمة اللبانية والحيلولة دون تحولها إلى شكل آخر من الصراع الداخلى؛ سادت أساليب التحذير فى خطابه، وخصوصًا من التعامل مع الأزمة بمنطق الفتوية . . . «ليس الوقتُ وقتَ التفارقة والتمييز والحسابات الفتوية؛ بل هو وقتُ التعاضد من أجل الوطن الواحد وتعزيز دولته»<sup>(١٤)</sup> ودعا السنيورة فى خطابه إلى توحيد الصنف، وإلى الدولة الموحدة غير المختزقة؛ أى التى لا يطوَّعُها أحد بالداخل والخارج لمصلحته، فى محاولة مستترة من جانبه إلى دعوة كافة القوى اللبانية إلى توقيع عقد اجتماعى جديد لإقامة هذه الدولة المأمولة . . . «دولة واحدة حرة مستقلة صاحبة قرار واحد، وسلطة لا ازدواجية فيها. فلا يكونُ من حقِّ كلِّ مقتدر بالداخل أو بالخارج أن يمضى بالمواطنين والوطن إلى حيث يشاء، ويكونُ على كلِّ الفرقاء الآخرين أن يسيروا من ورائه، وإلا كانوا انقساميين ومفرطين بالوحدة الوطنية! أو مطعونًا بإخلاصهم الوطنى والعربى».

وفى سياق الحديث عن هذه الدولة المأمولة تحدث السنيورة واصفًا إياها بأنها . . . «الدولة القوية والديموقراطية، دولة القرار الحر والسيادة الكاملة، دولة اللبانيين

المساوين في حقوقهم وواجباتهم، وبأنها هي الانتصار الأكبر الذي نستطيع نحن اللبنانيين تحقيقه... وحرص السنيورة في خطابه على الحديث بصيغة جمعية كأحد أهم وسائل الاستمالة: «...إننا كلُّنا نُدركُ جيداً» وبدا من خطابه أن مسألة الدولة لا خيار ولا تجزئة فيها: «... ما يقتضيه أمن لبنان وسلامة كلِّ أبنائه واستقراره وحقُّ الدولة وواجبها أن تبسِّطَ سلطتها كاملةً على كلِّ أراضيها». وحملت مفرداته في هذا السياق من جديد صيغة التهديد «... لا يخفى عليكم أن التساهلَ في أمر هذا الحقِّ يُعرِّضُ بلادنا أن تُصبحَ من جديد ساحةً للصراعات الإقليمية والدولية» من تداعيات الحيدة عن طريق الصواب، الذي يعلمه كل اللبنانيين: «الدولة التي لا يُنجزُ مشروعها إلا أنتم المواطنون الصامدون العاملون والمتجون والملتزمون بوحدتكم وبوطنكم، وهي دولةٌ لا بديلَ منها، ولا رديفَ لها أبداً».

### ثالثاً: الموقف من العالم العربي والمجتمع الدولي

حدد السنيورة أهداف سياسته الخارجية<sup>(١٥)</sup> وأولوياتها فيما يلي:

١ - مسألة تحرير مزارع شبعا واعتبرها من «الألوية الوطنية».

٢ - تسليم الأسرى اللبنانيين المحتجزين في السجون الإسرائيلية.

٣ - ضرورة وضع حد للاعتداءات والخروقات الإسرائيلية للأراضي اللبنانية.

٤ - واجب الدولة الطبيعي والحصري في تأمين الأمن لجميع مواطنيها والقاطنين على أرضها، إضافة إلى حقها الحصري في حمل السلاح وفي ممارسة سلطتها التامة على كامل أراضيها، بما يتوافق مع ما نص عليه اتفاق المصالحة الوطنية في الطائف في العام ١٩٨٩.

ووضح في خطابات السنيورة حرصه التام على التأكيد على عروبة لبنان وعروبة انتمائه وهويته، وساق خطابه عدة حجج توضيحية تقريرية...: «إنَّ عروبتنا في لبنان غيرُ مشروطة، وهي ليست بالإرغام... إنها عروبة الاختيار والانتماء والالتزام. ووقوفكم معنا حقٌّ وواجبٌ ومسئوليةٌ علينا وعليكم». ثم أضاف مزيداً من الحجج التقريرية المستندة إلى أساس تاريخي/ ديني «... فالأمن العربي أمنٌ واحد، والمستقبل العربي مستقبلٌ واحد. ونحن نردُّ جميعاً اليوم صرخة الإمام على كرم الله وجهه إثر مقتل عثمان: أكلت يوم أكل الثور الأبيض».

وكان السنيورة حريصاً على تكرار وصف العرب بأنهم «الإخوة العرب» الذين «بذلوا الجهد والمسعى لمساعدتنا بشتى الوسائل والسبل...». وكانت دعوة السنيورة صريحة في طلب المساعدة الاقتصادية من العرب: «...نحن نأمل من الإخوة العرب الذين هبوا لنجدتنا أن يتابعوا هذه الجهود ويطوروها لتبلغ الآفاق الضرورية لإنقاذ لبنان».

وفي فقرة أخرى من نفس الخطاب حدد السنيورة هذه المساعدات بالمساعدات الاقتصادية... «نحن محتاجون فعلاً للموازية... محتاجون للدعم والمساعدة في أعمال الإغاثة والإعمار، وفي مساعدة الاقتصاد اللبناني، الذي كان يُعاني أصلاً من العجز والدين نتيجة الاجتياحات السابقة».

وأورد السنيورة في سياق دعوة العرب إلى المساعدة حججاً إمبريقية تاريخية تشير إلى ضرورة استمرارية المساعدة... «قد ساعد الملوك والرؤساء العرب في الضغط على الدول الكبرى وسائر أطراف المجتمع الدولي من أجل إلزام المعتدى الإسرائيلي بإيقاف الأعمال العدائية والانسحاب إلى ما وراء الخط الأزرق، والخروج من مزارع شبعا وتسليمها إلى القوات الدولية، وتبادل الأسرى، والكشف عن خرائط الألقام».

ولم يقتصر طلب السنيورة على مساعدة العرب في الضغط على القوى الكبرى لانسحاب إسرائيل، ولكن أيضاً لضمان ألا... «يتكرر العدوان، وبحيث يُصبح وقف النار دائماً وشاملاً، فيكون ذلك المدخل للعودة إلى اتفاقية الهدنة المعقودة في العام ١٩٤٩».

وبالرغم من انتماء رئيس الوزراء إلى تيار المستقبل؛ إلا أنه لم يتورط في مهاجمة سوريا، بل إنه صرح بأن «الصورايخ الإسرائيلية لم تميز بين سورى ولبنانى»<sup>(١٦)</sup> كما نفى السنيورة في خطابه أن يكون هناك أى شقاق مع سوريا التي وصفها بـ«الشقيقة» حول تحرير مزارع شبعا، مؤكداً... «أن المشكلة هي في الاحتلال الإسرائيلي، قبل أن تكون تنازحاً على أرض بين لبنان وسوريا»<sup>(١٧)</sup>.

وفي موقفه من السعودية أكد السنيورة أنها قامت مشكورة بمبادرة كبيرة أخرى حين دعت لعقد قمة عربية طارئة بمكة المكرمة من أجل لبنان: «... لقد أتيتُم أيها الإخوة لغوثنا ومساعدتنا في بيروت ولبنان»<sup>(١٨)</sup>.

ولخص السنيورة الموقف من العرب في تعبير بلاغى دلالى حين أشار إلى أن لبنان على مر تاريخه حكّمته فى سياسته مقولة الرشادة فى السلوك السياسى : «... الصبر على شدائد العدو وأعباء الصديق»<sup>(١٩)</sup> مؤكداً أن لبنان قد حمل القضايا العربية محمل الجد، وفى مقدمتها قضية فلسطين... «لقد عملنا من أجل تضامن كل العرب وبذلنا من أجل ذلك الغالى والنفيس دون منّة أو تساؤل، ولا نرى لنا مكاناً أو موقعاً خارج هذا الانتماء وهذا الدور».

#### رابعاً: الموقف من إسرائيل

هاجم السنيورة العدو الإسرائيلى، وانتقد أحياناً المجتمع الدولى المتحيز ضد العرب والمحابى لإسرائيل بحجج واقعية وإمبريقية، من خلال تصويره للحرب نفسها، ولفظائع العدو الإسرائيلى: «... لم يوفر الجيش الإسرائيلى جسراً ولا مؤسسة ولا طريقاً، ولا مركزاً للخدمة المدنية، ولا تجمعاً بشرياً إلا وقصّفه بما فى ذلك المستشفيات ومقرات القوات الدولية، ومساكن الناس، ووسائل حركتهم. لقد ضربوا حتى قوافل الإغاثة والمساعدات التى أرسلها إلينا الأشقاء العرب، لا لسبب إلا للحقد والانتقام، ولا شىء غير الحقد والانتقام». وكذلك أورد حججاً توضيحية لتداعيات الحرب النفسية والمادية... «كم من الوقت سيتطلب التأم الجراح البشرية والاجتماعية والنفسية والاقتصادية وبأى كلفة؟ كم من الوقت سيستلزم بناء الطرقات والجسور والمنازل وبأى كلفة؟ كم من الوقت سيمر قبل أن ننسى من قضوا تحت القصف الإسرائيلى؟ أى مستقبل سيتج من الدمار غير مستقبل الخوف والكبت والانهيار الاقتصادى والتطرف؟

وفى هذا السياق أورد السنيورة حجة تقريرية تؤكد تساوى البشر، ولكن بأسلوب تعجب لمزيد من الاستمالة والسخرية فى ذات الوقت من الموقف الدولى حيال انتهاكات إسرائيل المستمرة: «وهل قيمة الحياة البشرية فى لبنان أقل من قيمة المواطنين فى دول أخرى؟ هل نحن أبناء إله أدنى (أقل قدرة)، أم أن قيمة دمعة إسرائيلية تفوق قيمة قطرة دم لبنانية؟ هل يستطيع المجتمع الدولى أن يقف متفرجاً بينما تنزل إسرائيل بنا مثل هذه العقوبة القاسية؟

ويدو أنه فى كل مرة يهاجم فيها السنيورة العدو الإسرائيلى أو ينتقد المجتمع الدولى: «... فالمعروف أن أكثر القرارات الدولية ذات الصلة بالصراع العربى / الإسرائيلى، ما

نفذتها إسرائيل حتى الآن، بل إنها سارت في اتجاهات معاكسة لها، ولقيت في انتهاكاتها للقرارات الدولية استحسان بعض الأطراف الكبرى في العالم»<sup>(٢٠)</sup>.

لا ينسى السنيورة أن يستميل رجل الشارع في الغرب بترديد نفس مفردات خطابه ونفس مقولاته، وبسرد حجج توضيحية عن الحرية والديموقراطية، مشيراً إلى أن لبنان دفعت هذا الثمن الباهظ من الدمار ومن الإحباط بسبب تبنيها وتمسكها وعدم تخليها عن طريق الديمقراطية والحرية... «.. أهذا ما يسمّى الدفاع المشروع عن النفس؟ أهذا هو الثمن الذي سندفعه لقاء توقنا لبناء مؤسساتنا الديمقراطية؟ أهذه رسالة الدعم المرسله لبلد التعدد والحرية والتسامح؟».

كما رفض السنيورة وصف العدوان الإسرائيلي بأنه حق مشروع في الدفاع عن النفس؛ بل استعان السنيورة بحجج تقريرية لإثبات ذلك، فذكر وصف أمين الأمم المتحدة المساعد للشئون الإنسانية ومنسق عمليات الإغاثة الطارئة للقصف الإسرائيلي العشوائي لضواحي المدنيين بأنه يعتبر خرقاً لقواعد القانون الإنساني فيما يتعلق بواجب حماية المدنيين خلال النزاعات.. وذلك لإدانة إسرائيل... «لا يمكن لإسرائيل الاستمرار في تجاهل القانون الدولي إلى ما لا نهاية، فيجب أن تدفع الثمن». . . فهي الصانعة للخراب في المنطقة، والإسرائيليون من وجهة نظر خطابه يدفَعونه لاستدعاء قول للمؤرخ الروماني تاسيتوس: «لقد صنعوا الخراب ويسمونهُ سلاماً»<sup>(٢١)</sup>.

كما جاءت مفردات السنيورة محبطة ومتحفظة في آن واحد من رد فعل مجلس الأمن تجاه المسألة اللبنانية ومزارع شبعا. «لست راضياً عن المسودات التي وصلت إلينا في اليومين الماضيين من مشروع القرار الذي يتناقش مجلس الأمن فيه. فهو لا يظل دون الشرطين اللذين ذكرتهما فقط، بل لا يكاد يُنجز وفقاً حقيقياً لإطلاق النار أيضاً»<sup>(٢٢)</sup> فهذا القرار من وجهة نظر السنيورة لا يأخذ بأمرين أساسيين هما جوهر النقاط السبع؛ وهما الانسحاب الإسرائيلي من المناطق المحتلة أخيراً، والعودة إلى خلف الخط الأزرق، والانسحاب من شبعا تمهيداً لفرض الدولة سلطتها جنوبي نهر الليطاني. . . . «إن قرار مجلس الأمن رقم ١٧٠١ لم يتجاوب مع كل ما طالبنا به، إلا أنه تعامل مع قضايانا وهو اجسنا المشروعة بجدية كبيرة، فأكد على الانسحاب الإسرائيلي والالتزام الدولي بسيادة لبنان ودعمه واحترام قراره الوطني». . . ومع ذلك لم ينف الجهد المبذول من الحكومة اللبنانية في معركتها الدبلوماسية مع المجتمع الدولي لتحرير مزارع شبعا؛ بل

واعتبرها انتصاراً لحكومته . . . . «لقد خُضنا معركة دبلوماسية قاسية تسلَّحنا فيها بحقنا وبتفاننا واستطعنا أن نتزعَّ تعديلات جوهرية على ما كان مقترحاً أصلاً كنص لإقراره في مجلس الأمن» . . «ووضع موضوع مزارع شبعا في نفس الوقت على طاولة مجلس الأمن مجدداً (بعد أن اعتبر القرار ٤٢٥ أن الأمر قد تم تنفيذه) وهو أمرٌ غيرٌ مسبوق في تاريخ الأمم المتحدة» .

### خامساً: الموقف من المقاومة في الجنوب

في سياق الأزمة حاول السنيورة تبنى موقف متوازن؛ فهو لم يهاجم المقاومة، ودعا في نفس الوقت إلى تعزيز سيطرة الدولة . ولقد عبر عن موقفه المتوازن هذا بقوله: «إنه من المبكر الكلام عن أن قرار السلم والحرب يجب أن يكون بيد الحكومة اللبنانية، وإن قرار الحرب أخذته إسرائيل، ونحن نقترح إرسال ١٥ ألف جندي من الجيش اللبناني إلى الجنوب مدعومين من القوات الدولية، ونؤكد ضرورة أن تكون المنطقة المذكورة خالية من السلاح إلا من سلاح الشرعية» . وبدا واضحاً في خطاب السنيورة أن الأزمة اللبنانية أزمة دولة وليست مجرد مجموعة من التقسيمات المذهبية والدينية والاجتماعية، وأنها أقوى كذلك من شخصية حسن نصر الله . . . . إن «السيد حسن نصر الله رجل محترم ومحبوب من الناس، ولكن المهم الآن إنقاذ لبنان» . وأوضح أن السنيورة لم ينتقد في كل خطباته سياسة أو سلوك حزب الله رغم نفيه أكثر من مرة بعلم حكومته بحادث الخط الأزرق: « . . إن حكومتى التى لم تكن على علم مسبق بعبور «حزب الله» الخط الأزرق وأسر جنديين إسرائيليين؛ لم تتبن هذه العملية» . ولا ريب أن وصف حادث حزب الله بـ«العبور» وليس الاختراق أكد ذلك . . . . وفى نفس الوقت كان خطابه اللغوى عنيفاً فى اختراق إسرائيل لسيادة لبنان . . . . «إن حكومتى تدين أشد إدانة الرد الإسرائيلي العنيف وعدوانها الذى تخرق به كل القوانين الدولية والاتفاقات والمعايير»<sup>(٢٣)</sup> .

كما حرص فى خطابه السياسى أن يكسب شرعية لسياساته من الجنوب، ويوحدهم تحت رايته كجزء من الشعب اللبناني، وذلك حين تفاخر بصمود الجنوبيين والتأكيد على أنه معهم . . . . «لقد صمد اللبنانيون جميعاً، وفى طليعتهم أهلنا الجنوبيون» . . وأكد ذلك فى قوله بأنه . . . «مع الجنوب قلباً وعقلاً»<sup>(٢٤)</sup> .

وحرص الخطاب السنيورى على استمالة كافة اللبنانيين بكل قطاعاتهم ومذاهبهم وتعددهم؛ بالمناداة فى خطابه لوقف إطلاق نار فورى «... من بيروت وبعلك وجبيل وصور وصيدا وقانا، وصولاً إلى طرابلس وزحلة وبشري وللقرى الـ ٢١ الواقعة على الحدود الجنوبية»...

ونجح السنيورة فى سرد حججه الواقعية وراء دعوته هذه بالقول بأن وقف إطلاق النار سيكون من شعب حارب وشعب (باسل) «...» «باسم الشعب الباسل فى لبنان»... كما أن هناك أهدافاً سامية وضرورية وراء وقف إطلاق النار، وهى: «... تأمين إعانات إنسانية للبنان الذى ضربته الحرب؛ ولأن استمرار الحرب فريضة لإسرائيل للاستمرار فى احتلال الأراضى اللبنانية»، وكذلك لأن وقف إطلاق النار «... يشكل خطوة على طريق تحقيق السلام العادل والشامل بين شعوب الشرق الأوسط»... وخطوة لإعادة بناء بلدنا المشردم وإعادته بلداً عربياً موحداً ديمقراطياً ومنارة للحرية والتعددية والتسامح فى المنطقة<sup>(٢٥)</sup>، ولأن وقف إطلاق النار سيجعل لبنان مثلاً يحتذى، وأن تحوله إلى ساحة لحروب الآخرين سيحول دون ذلك.

#### سادساً: خطة الحكومة لحل الأزمة اللبنانية فى تموز (يوليو) ٢٠٠٦

طرح السنيورة فى مؤتمر روما بتاريخ ٧/٢٦ تصوراً شاملاً ومتكاملاً للحل الجذرى، أجمع عليه مجلس الوزراء اللبناني، والقمة الروحية المتعددة بمقر البطيركية المارونية ببيركى؛ وهى خطة كاملة لحل الأزمة اللبنانية تألفت من سبعة نقاط<sup>(٢٦)</sup> وضح فيها تفادى فؤاد السنيورة الميل إلى أى قوة داخل لبنان؛ إذ سعى لإيجاد قدر من التوازن بين الخطابات المتعارضة، ولم الشمل اللبناني، وتمحورت خطته حول نقطة واحدة وهى: وقف إطلاق نار فورى وشامل وإعلان اتفاق حول المسائل التالية<sup>(٢٧)</sup>:

١- التعهد بإطلاق الأسرى والمحتجزين اللبنانيين والإسرائيليين من طريق اللجنة الدولية للصليب الأحمر.

٢- انسحاب الجيش الإسرائيلى إلى خلف الخط الأزرق وعودة النازحين إلى قراهم.

٣- التزام مجلس الأمن بوضع منطقة مزارع شبعا وتلال كفر شوبا تحت سلطة الأمم المتحدة حتى ينجز ترسيم الحدود وبسط السلطة اللبنانية على هذه الأراضى، علماً بأنها

ستكون خلال تولي الأمم المتحدة السلطة مفتوحة أمام أصحاب الأملك اللبنانيين، كما أنه يتعين على إسرائيل تسليم كل خرائط الألغام المتبقية في جنوب لبنان إلى الأمم المتحدة.

٤ - بسط الحكومة اللبنانية سلطتها على كامل أراضيها عبر انتشار قواتها المسلحة الشرعية؛ مما سيؤدي إلى حصر السلاح والسلطة بالدولة اللبنانية كما نص اتفاق المصالحة الوطنية في الطائف.

٥ - تعزيز القوة الدولية التابعة للأمم المتحدة العاملة في جنوب لبنان، وزيادة عددها وعتادها، وتوسيع مهامها ونطاق عملها وفقاً للضرورة؛ بهدف إطلاق العمل الإنساني العاجل وأعمال الإغاثة، وتأمين الاستقرار والأمن في الجنوب ليتمكن النازحون من العودة إلى منازلهم.

٦ - اتخاذ الأمم المتحدة بالتعاون مع الفرقاء المعنيين الإجراءات الضرورية لإعادة العمل باتفاق الهدنة الذي وقعته لبنان وإسرائيل في العام ١٩٤٩، وتأمين الالتزام بينود هذا الاتفاق، إضافة إلى البحث في التعديلات المحتملة عليه، أو تطوير بنوده عند الضرورة.

٧ - التزام المجتمع الدولي بدعم لبنان على كل الأصعدة، ومساعدته على مواجهة العبء الكبير الناتج من المأساة الإنسانية والاجتماعية والاقتصادية التي يشهدها البلد، وخاصة في ميادين الإغاثة وإعادة الإعمار وإعادة بناء الاقتصاد الوطني.

وكان واضحاً تلويح خطاب السنيورة بأن هناك فاعلاً واحداً للعمل السياسي في لبنان وهو الدولة اللبنانية بجيشها ورموزها: «... الدولة الدستورية، الحرة القوية، ونظامها الديمقراطي، وجيشها الوطني، الدولة التي توافق اللبنانيون عليها، وهي الدولة التي لا يُستعاضُ عنها بالدويلات أو أشباهها...» (٢٨).

ولقد قصر السنيورة مهمة البناء على هذه الدولة (الشرعية) التي بحاجة إلى التعزيز، لا إلى التفريق أو التمييز: «... ستحملُ الدولةُ كلَّ مسؤولياتها في الإغاثة وإعادة الإعمار بمعاونة الإخوة العرب وأصدقائنا الكثر في العالم، بشفافية كاملة ودون تمييز ولا تفريق وليس لنا في ذلك منة على أحد، فالدولة للجميع وواجبها أن تصونَ حقوقَ مواطنيها جميعاً، وسنعمدُ صَبِيحاً للعملِ وأساليبَ تأخذُ بالاعتبار حاجتنا إلى السرعةِ وتضمنُ القَدْرَ الأكبرَ من الفعالية» (٢٩).

كما نفى تماماً في خطابه أن تكون الدولة اللبنانية دولة متحيزة ضد أى فئة من الفئات، وأكد أنها دولة كل اللبنانيين «... أنا لا أتصرف بمنطق الفريق أو الطائفة أو الفئسة السياسية، أو الحزب؛ بل إننى أتصرفُ باعتبارى رئيسَ وزراء لبنان، والموقعُ لا يتسع إلا للدولة، دوئماً استثنائاً أو تفرداً أو تنازلاً أو مساومة»<sup>(٣٠)</sup>.

والجدير بالذكر أن الخطاب السنيورى جاء أكثر قوة وصلابة عقب الحرب، فى محاولة من جانبه لتوحيد الصف اللبنانى، وتفادى تبعات ما بعد الحرب وإطلالة الولاءات التحتية برأسها؛ فتعبيرات الإعزاز والثقة بالذات وباللبنانيين قد غلفت مفرداته... «وأنا على ثقة... «الثقة التى بها حفظ الوطن وحفظت وحدة اللبنانيين»<sup>(٣١)</sup>.

ولقد تم توظيف الأزمة إيجابياً فى الخطاب الرسمى للسنيرة بعد انتهائها؛ إذ اتخذها مثلاً رائعاً على صمود وجلد اللبنانيين على الشدائد، وذريعة لاستمرارية هذا الجلد فى كل الأزمان المستقبلية... «قليلة هى الأوطان والبلدان التى قامت ما قاساه ويقاسيه لبنان. وقليلة هى الأوطان والبلدان التى صمدت على المعاناة وعلى التجارب والمحن كما صبر لبنان، وكما صبر شعبه، وكما تماسكت فئاته»<sup>(٣٢)</sup>.

وقصد خطاب السنيرة من ذلك تأكيد المسئولية الشعبية تجاه الوطن... ذلك أن الصمود الأسطورى للشعب اللبنانى مع وطنه ووحدته وحرية وسيادته؛ فرض ويفرض على الجميع تكاليف ومسئوليات بقدر ذلك الصمود. وحددت تلك المسئولية فى خطابه فى «... مسئولية بناء الدولة القادرة والحامية بالمشاركة القوية والإيجابية فى النظام الديموقراطى».

وتحددت أولويات السنيرة فيما بعد الحرب فى عدة قضايا أهمها «... إقفال ملف النزاعات الداخلية، والعمل على ألا يكون لبنان ساحة للصراعات الخارجية أو لتصفية الحسابات»... وكذلك التفكير فى عملية إعمار ما بعد الحرب. وقد حدد السنيرة هذه القضايا بأنها: «... الواجبات والضرورات التى تتمثل فى: ... إعادة الإعمار، وإعادة بناء الاقتصاد الوطنى والتفكير من أجل مستقبل اللبنانيين، ومستقبل لبنان وتحقيق ازدهارهم ومشاركتهم الفاعلة فى منطقتهم وفى العالم المعاصر»<sup>(٣٣)</sup>.

## سابعاً: علاقة الحكومة اللبنانية بقوى المعارضة بعد الأزمة

أكد خطاب السنيورة على ترحابه بالاختلاف في الرأي بصفته لب الديمقراطية: «أنا لا أقلل أهمية وحق الاختلاف السياسي في بلد ديمقراطي نحرص فيه على الحريات العامة، ولا سيما الحريات السياسية». . . ولكنه حدد بعض الثوابت التي لا تقبل النقاش والمزايدة السياسية في هذا الاختلاف وهي: «. . لا شروط على الوطن، ولا شروط على الدولة، ولا شروط على النظام الديمقراطي»<sup>(٣٤)</sup>. وإنما يأتي الاختلاف من وجهة نظره بين الفرقاء السياسيين في وسائل المشاركة وآلياتها.

وفي سياق حديثه عن سيناريو الحكومة/ المعارضة في لبنان؛ ركز خطاب السنيورة على عوامل الوحدة في خطابه أكثر من عوامل الاختلاف: «إنني أرى أن ما يجمع اللبنانيين أكبر وأكثر بكثير مما يفرقهم. نحن مجتمعون على نهائية الوطن، ونهائية العيش المشترك، وعلى الانتماء العربي، وعلى الدولة الجامعة، التي تحمي ولا تهدد، وتصون ولا تبدد، وعلى النظام السياسي الديمقراطي الذي يمثل إرادة اللبنانيين من خلال الانتخابات الحرة والمنظمة، وفصل السلطات وتعاونها، وقواعد إدارة الشأن العام، ولا سيما المراقبة والمحاسبة»<sup>(٣٥)</sup>. وب نظرة متفحصة إلى عوامل الوحدة هذه؛ سيتضح أنها روح - إن لم تكن بنود - دستور الطائف الذي أجمعت عليه كل القوى اللبنانية.

كما حدد السنيورة شروطاً للاختلاف في الرأي؛ إذ لا يجب أن يكون حاداً، أو يفتح باباً للفتنة داخلياً، أو للتدخل الخارجي: «. . لا أرى ما يدهو إلى الحدة في التعبير الذي تعلق فيه الأصوات بما يوتر المواطنين ولا يزودهم منفعة إضافية، وهذا ما يذكرنا بقول الفقيه المعروف الحسن البصري الذي حذرنا من الصوت العالي الذي يستدعي الفتنة، ويقطع الألفة». «إن الأخطار على الوطن لا تأتي من الخارج فحسب؛ بل تأتي أيضاً من الانقسام الداخلي. . ماذا يفيد إن ربحت العالم وخسرت نفسك؟»<sup>(٣٦)</sup>.

وتبنى خطاب السنيورة شعار الحديد للبنان ما بعد الأزمة في الثقة والمسئولية وبناء المستقبل؛ كثلاثة عناوين لموضوع واحد هو: «لبنان النظام الديمقراطي»<sup>(٣٧)</sup> ولبنان الدولة، كما أورد العديد من الحجج التقريرية/ الدينية التي تعضد حديثه: «. . . . . تيقون، وتبقى أممتنا العربية، ويبقى لبنان: «وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ».

وبقراءة لغوية لخطابات السنيورة؛ يتضح غلبة الأساليب اللغوية التي تستهدف التأثير على وجدان الشعب اللبناني للم شمل في مواجهة الموقف المتأزم بسبب الحرب الإسرائيلية . . ومن هذه الأساليب الضمائر الشخصية وتكرار المفردات .

فبالرغم من إبراز لبنان في خطابات السنيورة بالدولة الهشة الضعيفة في مواجهة إسرائيل، إلا أنه حرص في العديد من فقرات خطابه بالتحديث عن نفسه كرئيس وزراء لبنان؛ لإعطاء انطباع بأنه ما زال ممسكاً بزمام الأمور، ومحتفظاً بقوته في اتخاذ العديد من القرارات على المستوى الداخلي والخارجي؛ فضمائر المتكلم هنا « . . . كنت، أود، أستطيع، أتكلم، أصف . . . » تبرز صفته باعتباره المتحدث الأوحدهن الدولة اللبنانية، وتعني ضمناً رفضه لممارسات حزب الله في الداخل، أو أن يكون حزب الله هو المتحدث باسم الدولة اللبنانية. ولا ريب أن اختلاط الضمير (أنا) به (نحن) في كثير من فقرات الخطاب . . . «واجبنا، نصون، لدينا، مؤسساتنا، نعمل» . . . إنما يؤكد توحد الصف الداخلي، وتبني مشروع واحد، وإلقاء تبعات الحفاظ على لبنان (الوطن) على عاتق كل اللبنانيين .

كما كثر استخدام السنيورة لضمير المتكلم في صيغة الجمع (نحن)؛ وذلك لاستمالة الشعب اللبناني بكل طوائفه، والتعبير عن القوة والتوحد مع المستمعين . . . «نحن نحتاج التأييد الكامل من جانب المؤتمر الإسلامي»<sup>(٣٨)</sup>؛ إذ من المعروف أن ضمير الجمع ومشتقاته يعبر عن هوية الجماعة، وزيادة استخدامه دلالة على تقسيم المستمعين إلى مواليين أو أفراداً خارج الجماعة؛ ومن ثم تجسيد لمفهوم «الأنا» و«الآخر» .

ووضع أن السنيورة قد قرن في خطابه بما تشهده البلاد من حرب ودمار؛ لكي يبرز أن الخراب الذي طال لبنان إنما هو بالأساس خراب ودمار قد شمل كافة الفئات والأفراد والجماعات، ليس الجنوب فقط أو حزباً بعينه دون الآخر . . . ويعكس كل هذا لغوياً أهمية استثمار ذلك المعنى من قبل اللبنانيين جميعاً، وبالتالي ضرورة انصهارهم في بوتقة واحدة خاضعة لسيطرة حكومة السنيورة؛ وذلك ما دفعه في بعض خطابه إلى استخدام الضمير (إننا) مع الفعل (نرى) ليعمق إرادة حكومته في التفاوض وإنهاء نفوذ حزب الله في الجنوب .

كما حرص السنيورة في كثير من فقرات خطبه على استخدام ضمير المتكلم (أنا) من خلال بعض الأفعال المساعدة على إيصال رسالته: «... خاطبت، تقدمت...»؛ ليشير إلى قدرة السنيورة على مواجهة الأزمة اللبنانية في الساحة الدولية.

ولا ريب أن الثقة التي يبعثها إلى شعبه تنعكس إيجابياً على قدرته على مخاطبة المجتمع الدولي في هذا الظرف الاستثنائي؛ حيث يوجه خطابه مثلاً إلى الاتحاد الأوروبي بضمير المتكلم «نحن» ليدلل للمجتمع الأوروبي على أن كافة القرارات التي ستتخذ لمعاونة لبنان إنما تخضع في نهاية المطاف لسيطرة الحكومة الحالية؛ وهي حكومة السنيورة، ليخفف من وطأة ما يشعر به الغرب تجاه سيطرة حزب الله على الجنوب وتهديد إسرائيل الحليف للكثيرين في المنطقة.

وبشكل عام كان أسلوب التوحيد والإطراء عن الآخر أحد أهم الأساليب اللغوية للسنيورة في خطباته، «مقاومكم - شهداؤكم - صامدوكم»؛ فاقتران هذه الضمائر ببعض المفردات اللغوية البراقة التي تحرك مشاعر وعواطف الشعب اللبناني؛ إنما قصد منها إذكاء روح البطولة لدى الشعب لاستثمارها في تواصل عملية الدفع للمقاومة الإسرائيلية: «... إنكم بفضل صمودكم... ومواجهتكم لحربه على لبنان أكدتم أن إسرائيل لم تعد قوة لا تقاوم...».

كما يجيء العهد الذي حرص السنيورة عليه وامتزج بالضمير (نحن) في أكثر من فقرة في خطابه... «إننا نعاهدكم...»؛ ليلقى بتبعية المواجهة وحل الأزمة على عاتق الحكومة، وليكتسب الثقة من الشعب.

ويؤكد هذا المعنى استخدام السنيورة لنفس الضمير حين تحدث أمام مجلس الوزراء العرب عن الأزمة؛ فاستخدم لفظ «تواجهنا» ليدلل على أن الأزمة التي يواجهها لبنان هي الأزمة التي تواجهها الأمة العربية، وأن قرار إنهاء الحرب إنما يخص العرب جميعاً؛ لأنه «تحدّ» لتلك الدول في مواجهة إسرائيل.

ولما كانت الألفاظ المتكررة تدعم وتعيد صياغة مفاهيم الجماعة، إضافة إلى إعادة صياغة الأدوار المنوطة بالأفراد؛ عمد السنيورة في معظم خطباته إلى الإشارة إلى الدمار الذي خلفته الهجمة الإسرائيلية على لبنان، وإلى الخراب الذي طال البلاد، ومدى ما نشرته هذه الحرب من تدمير، وهو يهدف من تكرار الإشارة إلى هذا الدمار إلى بث مشاعر

الحسرة التي يشعر بها شخصياً، وبذلك يدعم موقفه أمام الشعب اللبناني كمستول عن لبنان وعمّ يعانيه، كما يعمل على بث هذه المشاعر متضامناً مع شعبه أمام الرأي العام العالمي؛ كي يؤكد على عمق الجريمة الإسرائيلية؛ مما يمكنه من كسب تعاطف المجتمع الدولي وتأييده.

كما أن تأكيد السنيورة وتكراره في كل خطاب على فكرة الخسارة اللبنانية المتمثلة في الشعب: «... ومن استشهدوا فداءً لهذا الوطن».. إنما هي محاولة من جانبه للضغط على الجانب النفسى للشعب اللبناني، مؤكداً أن الحكومة لن تقف مكتوفة الأيدي، كما لن يسعدها أن تستمر في حكمها وقد دمرت البلاد، وفي هذا تأكيد آخر على اصطلاح الحكومة بمهامها داخلياً وخارجياً، ويدعم هذا التكرار المفاهيم التي سبق وتم طرحها في تناول الضمائر الشخصية؛ حيث يشدد السنيورة داخلياً على توجهه في الداخل متمثلاً في إبعاد حزب الله عن دوره في الجنوب، وكذلك موقفه الخارجى فى القدرة على التفاوض مع المجتمع الدولي باسم لبنان كله.

واللافت للنظر أن خطاب السنيورة عن تكرار الحديث عن الدمار الذى لحق لبنان أمام الغرب؛ كان الهدف من ورائه إيضاح أن الدولة اللبنانية تحتاج إلى دعم الغرب السياسى لبناء الدولة الديمقراطية المشهود لها، والتي لن يصدر عنها أى تهديد عسكرى أو دينى لدول المنطقة أو لباقى دول العالم... «إن المجتمع الدولي له مصلحة فى مساعدة شعوب المنطقة للتخلص من مشاعر اليأس ولبناء مجتمعات أكثر ديمقراطية»<sup>(٣٩)</sup>.

\*\*\*

## الخاتمة

للهولة الأولى يتضح من تحليل الخطاب السياسى للسنيورة أن هناك ثلاثة مرتكزات أساسية لتحليل الأزمة التي طالت لبنان بسبب الحرب مع إسرائيل تمثلت فى:

١ - محاولة السنيورة استغلال هذه الأزمة لتدشين سلطته بالداخل، وإبعاد حزب الله عن العملية السياسية والعسكرية فى الجنوب.

٢ - كسب تأييد الدول العربية لمساعدة لبنان اقتصادياً ومالياً ومساعدتها فى بناء بنيتها التحتية التي دمرتها الحرب.

٣- التأثير على العالم الغربي بتكرار المردود الإيجابي لمساندتهم السياسية والعسكرية لحكومة السنيورة، والمتمثل في ترتيب الأوضاع السياسية للبيت اللبناني بما يتفق مع مصلحة الغرب، ويضمن عدم تهديد دول الجوار اللبناني، ويحقق الاستقرار في المنطقة.

ولقد غلب على لغة السنيورة مفردات وأساليب الاستمالة أكثر من عبارات التهديد والوعيد. كما اتخذ السنيورة من مفردات الضعف والظلم والهوادة أكثر من مفردات التحدى والقوة سبيلاً لتمكين حكومته، فحتى عند الحديث عن البناء وإعادة الإعمار؛ كان المسكوت عنه دائماً الحاجة إلى الدعم العربى والغربى.

واللافت للنظر أن ضمائر المتكلم (نحن) أو (أنا) قد غلفت كثيراً من عبارات السنيورة، فى إشارة واضحة لحاجة السنيورة وحكومته للدعم المادى والمعنوى، ولتأكيد أنه لا يزال يمسك بزمام الأمور.

وقد يبدو غريباً أن لغة السنيورة فى حديثه عن الآخر (حزب الله) لم تحتل المساحة المتوقعة فى خطابه، ولم تتطرق مفردات خطابه أبداً إلى المهاجمة أو اللوم، رغم أن المسكوت عنه أحياناً والمفهوم ضمناً فى أحيان أخرى هو محاولة استبعاد هذا الآخر الذى سبب كل تلك الأزمات، أو على الأقل استيعابه وتضمينه فى مظلة الدولة اللبنانية بحكومة السنيورة. هذا ولقد بدا السنيورة فى كثير من فقرات خطابه موضوعياً ذا حجة برهانية علمية . . . «علينا ليس فقط أن نقنع أنفسنا بحقنا، علينا أن نقنع الآخرين بأن لنا حقوقاً وأنا علينا أن ندافع عن هذا الحق وأن نستحق حقنا»<sup>(٤٠)</sup>؛ ولذا كان السنيورة حريصاً فى كل مرة يتحدث فيها عن جانب من جوانب الأزمة أن يورد حججاً تقريرية توضيحية أو إمبريقية تدعم ما يقوله؛ ليؤكد أنه ابن بار لسيرته الذاتية<sup>(٤١)</sup>؛ فبالرغم من أنه معروف بحبه للثقافة العربية، والأدب العربى وطول باعه فى اللغة العربية وآدابها، وتوليه منصب رئيس النادى الثقافى فى بيروت، إلا أنه ذو اهتمام كبير بالأرقام والميزانيات . . . «أنا عقلت دائماً يتطلع إلى قدام؛ لأنه اللى بيظل بيتطلع لورا ما ييوصل لنتيجة يعمل حوادث مرور»<sup>(٤٢)</sup>.

\*\*\*

- 1 - Geis, M.L., The Language of Politics, New York: Springer Verlage, Inc., 1987, P.18.
- 2- Jowett & O'Donnel, Propaganda and Persuasion, London: Sage Publication, 1999, P.6
- 3- Geis, Op. Cit., P.8
- 4- Wodak, R, Language, Power and Ideology: Studies in Political Discourse, 1989.
- ٥- الكلمة التي ألقاها رئيس الحكومة فؤاد السنيورة في المؤتمر الدولي الذي عقد في روما: المستقبل، الخميس ٢٧ تموز ٢٠٠٦، العدد ٢٣٣٧، شئون لبنانية، صفحة ٥ .
- ٦- الكلمة التي ألقاها رئيس الحكومة فؤاد السنيورة في المؤتمر الدولي الذي عقد في روما: مرجع سبق ذكره .
- ٧- المرجع السابق .
- ٨- الكلمة التي ألقاها رئيس الحكومة فؤاد السنيورة في المؤتمر الدولي الذي عقد في روما: مرجع سبق ذكره .
- ٩- الكلمة التي ألقاها رئيس الحكومة فؤاد السنيورة في المؤتمر الدولي الذي عقد في روما: مرجع سبق ذكره .
- ١٠- الكلمة التي ألقاها رئيس مجلس الوزراء فؤاد السنيورة . . أضيف في : ٢٠٠٦/٨/٤ ، ٣٩ : ٤٢ : ١٢ .
- ١١- الكلمة التي ألقاها رئيس الحكومة فؤاد السنيورة في المؤتمر الدولي الذي عقد في روما: مرجع سبق ذكره .
- ١٢- الكلمة التي ألقاها رئيس مجلس الوزراء فؤاد السنيورة . . أضيف في : ٢٠٠٦/٠٨/٠٤ ، ٣٩ : ٤٢ : ١٢ .
- ١٣- فؤاد السنيورة، السراي الكبير الأربعة في ١٦ آب ٢٠٠٦ .
- ١٤- كلمة دولة رئيس مجلس الوزراء فؤاد السنيورة، السراي الكبير الأربعة في ١٦ آب ٢٠٠٦ أضيف في : ٢٠٠٦/٠٨/١٧ ، ٠٤ : ٣٣ : ٠٩ .
- ١٥- الكلمة التي ألقاها رئيس الحكومة فؤاد السنيورة في المؤتمر الدولي الذي عقد في روما: مرجع سبق ذكره .
- ١٦- أحمد تهاى عبد الحى، الدلالات الحضارية في الخطاب الرسمي وخطاب القوى السياسية اللبنانية: تعددية ثرية أم اختلاف وتشظي؟ بحث مقدم إلى مركز البحوث والدراسات الحضارية، بحث غير منشور، ٢٠٠٦ .
- ١٧- فؤاد السنيورة، السراي الكبير، الأربعة في ١٦ آب ٢٠٠٦ .
- ١٨- كلمة الرئيس السنيورة لمجلس وزراء الخارجية العرب الاستثنائي الذي عقد في السراي الكبير، ٢٠٠٦/٨/٧ .
- ١٩- كلمة الرئيس السنيورة لمجلس وزراء الخارجية العرب الاستثنائي الذي عقد في السراي الكبير، ٢٠٠٦/٨/٧ .
- ٢٠- المرجع السابق .

- ٢١- الكلمة التي ألقاها رئيس الحكومة فؤاد السنيورة في المؤتمر الدولي الذي عقد في روما: مرجع سبق ذكره.
- ٢٢- كلمة الرئيس السنيورة التي ألقاها في الجلسة الافتتاحية لمجلس وزراء الخارجية العرب الاستثنائي الذي عقد اليوم في السراي الكبير، ٧/٨/٢٠٠٦. أضيف في: ٧/٨/٢٠٠٦، ١١: ٥٩: ٤.
- ٢٣- الكلمة التي ألقاها رئيس الحكومة فؤاد السنيورة في المؤتمر الدولي الذي عقد في روما: مرجع سبق ذكره.
- ٢٤- فؤاد السنيورة، السراي الكبير الأربعاء في ١٦ آب ٢٠٠٦.
- ٢٥- المرجع السابق.
- ٢٦- الكلمة التي ألقاها رئيس الحكومة فؤاد السنيورة في المؤتمر الدولي الذي عقد في روما: مرجع سبق ذكره.
- ٢٧- كلمة الرئيس السنيورة التي ألقاها في الجلسة الافتتاحية لمجلس وزراء الخارجية العرب الاستثنائي الذي عقد اليوم في السراي الكبير، ٧/٨/٢٠٠٦. أضيف في: ٧/٨/٢٠٠٦، ١١: ٥٩: ٤.
- ٢٨- فؤاد السنيورة، السراي الكبير، الأربعاء في ١٦ آب ٢٠٠٦.
- ٢٩- المرجع السابق.
- ٣٠- المرجع السابق.
- ٣١- إفتار السرايا، مرجع سبق ذكره.
- ٣٢- المرجع السابق.
- ٣٣- المرجع السابق.
- ٣٤- المرجع السابق.
- ٣٥- المرجع السابق.
- ٣٦- المرجع السابق.
- ٣٧- المرجع السابق.
- ٣٨- خطاب السنيورة أمام الوزراء والسفراء العرب: ٤/٨/٢٠٠٦.
- ٣٩- كلمة السنيورة أمام البرلمان الأوروبي، مرجع سبق ذكره.
- ٤٠- مقابلة خاصة مع رئيس وزراء لبنان، العربية، ١٧ أغسطس ٢٠٠٦.
- ٤١- ولد فؤاد عبد الباسط السنيورة في مدينة صيدا، عاصمة الجنوب اللبناني، عام ١٩٤٣، ونشأ في حي الكنان، وتحديداً في حارة الأمريكان، في عائلة صيداوية مسلمة سنية من الطبقة المتوسطة. بدأ السنيورة حياته العملية في العاصمة اللبنانية بيروت بعد تخرجه عام ١٩٦٧ ببيكالوريوس في إدارة الأعمال من الجامعة الأمريكية في بيروت، وحصل عام ١٩٧٠ على ماجستير في إدارة الأعمال أيضاً من الجامعة نفسها. وعلى الأثر عمل بين عامي ١٩٧١ و١٩٧٦ محاضراً في الجامعة الأمريكية، وبين ١٩٧٥ و١٩٧٦ في الجامعة اللبنانية أيضاً. وخلال الفترة ذاتها عمل بين عامي ١٩٧١ و١٩٧٥ في مركز التدريب التنفيذي التابع لمصرف «فيرست ناشونال سيتي بنك». وكان قد شغل بين عامي ١٩٦٧ و١٩٧٢ وظيفة مساعد مدير في المصرف.

وفى عام ١٩٨٣ عاد السنيورة إلى العمل الخاص فتولى منصبى مجلس الإدارة والمدير العام فى بنك البحر المتوسط حتى عام ١٩٩٢ ، وتولى أيضاً رئاسة مجلس إدارة ومنصب المدير العام فى البنك السعودى اللبنانى بين عامى ١٩٨٦ و ١٩٩٢ .

فى أواخر عام ١٩٩٢ دخل السنيورة فعلياً المعتك السيامى عندما اختاره الرئيس الحريرى وزير دولة للشئون المالية فى حكوماته الثلاث الأولى (احتفظ الحريرى نفسه بحقيبى وزارة المالية بجانب الرئاسة)؛ وذلك بين ٣١ أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٩٢ و ٢٥ مايو (آيار) ١٩٩٥ ، ثم بين ٢٥ مايو ١٩٩٥ و ٦ نوفمبر (تشرين الثانى) ١٩٩٦ ، ثم بين ٧ نوفمبر ١٩٩٦ و ٤ ديسمبر (كانون الأول) ١٩٩٨ . وفى مطلع عهد لحد الذى شهد ابتعاد الحريرى عن رئاسة الحكومة لمدة سنتين ، بين أواخر ١٩٩٨ وأواخر ٢٠٠٠ ؛ وجهت عدة تهم مالية إلى السنيورة وعدد من المسئولين فى عهد وزارات الحريرى ، غير أن القضاء برأ ساحتهم . وبعد انتخابات عام ٢٠٠٠ التى حقق فيها الحريرى انتصاراً ضخماً لا سيما فى بيروت حيث خسر حتى رئيس الحكومة الرئيس الحص مقعده البرلمانى ؛ عاد السنيورة إلى مقاعد الوزارة ، وهذه المرة شغل منصب وزير المالية فى حكومتى الحريرى الرابعة والخامسة بين ٢٦ أكتوبر ٢٠٠٠ و ١٥ إبريل (نيسان) ٢٠٠٣ ، وبين ١٧ إبريل ٢٠٠٣ و ٢٦ أكتوبر ٢٠٠٤ .

٤٢ - مقابلة خاصة مع رئيس وزراء لبنان ، العربية ، مرجع سبق ذكره .

\*\*\*